

تفسير ابن كثير

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

يقول تعالى لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه : إنك يا محمد (إنك لا تهدي من أحببت

(أي : ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ ، والله يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة

والحجة الدامغة ، كما قال تعالى : (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) [

البقرة : 272] ، وقال : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف : 103]

.وهذه الآية أخص من هذا كله ; فإنه قال : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي

من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) أي : هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ،

وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وقد كان يحوطه وينصره ، ويقوم في صفه ويحبه حبا [شديدا] طبعيا لا شرعيا ، فلما

حضرته الوفاة وحان أجله ، دعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإيمان والدخول

في الإسلام ، فسبق القدر فيه ، واختطف من يده ، فاستمر على ما كان عليه من الكفر ،

والله الحكمة التامة. قال الزهري : حدثني سعيد بن المسيب ، عن أبيه - وهو المسيب بن

حزن المخزومي ، رضي الله عنه - قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة .
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك
بها عند الله " . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد
المطلب ؟ فلم يزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك
المقالة ، حتى قال آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا الله .
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك " . فأنزل
الله عز وجل : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى)
[التوبة : 113] ، وأنزل في أبي طالب : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
يشاء) . أخرجاه من حديث الزهري . وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي ، من
حديث يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : لما حضرت وفاة أبي طالب
أتاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " يا عماه ، قل : لا إله إلا الله ، أشهد لك
بها يوم القيامة " . فقال : لولا أن تعيرني بها قريش ، يقولون : ما حملة عليه إلا جزع الموت

، لأقررت بها عينك ، لا أقولها إلا لأقربها عينك . فأنزل الله : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان . ورواه الإمام أحمد ، عن يحيى بن سعيد القطان ، عن يزيد بن كيسان ، حدثني أبو حازم ، عن أبي هريرة ، فذكره بنحوه . وهكذا قال ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، والشعبي ، وقتادة : إنها نزلت في أبي طالب حين عرض عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول : " لا إله إلا الله " فأبى عليه ذلك ، وقال : أي ابن أخي ، ملة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد قال : كان رسول قيصر جاء إلي قال : كتب معي قيصر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابا ، فأتيته فدفعت الكتاب ، فوضعه في حجره ، ثم قال : " ممن الرجل ؟ " قلت : من تنوخ . قال : " هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفة ؟ " قلت : إني رسول قوم ، وعلى دينهم حتى أرجع إليهم . فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونظر إلى أصحابه وقال : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن

الله يهدي من يشاء) .